https://www.asjp.cerist.dz/ Revue/858

المجلّد: 03 العدد: 01(ماي 2023) ص08– 20

القرينة المقامية ودورها في توجيه المعنى عند النحاة الأوائل

- مقاربة لسانية

Contextual indicator and its role in determine the path of meaning of the first grammarians
Linguistic approach

وهيبة بوشليق *

جامعة محمد بوضياف المسيلة، (الجزائر)

مخبر الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية الجزائر

OUAHIBA.BOUCHELIG@UNIV-MSILA.DZ

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
2022/12/18

تاريخ القَبول:
2023/05/07

الكلمات المفتاحيّة:
- ✓ القرينة المقامية
- ✓ التراث النحوي
- ✓ اللسانيات الحديثة

الملخص:

الدرس النحوي العربي القديم غني بمظاهر التفكير اللساني التي تجعل منه تراثا يمكن أن ننهل منه الأسس والمبادئ التي تؤصّل للسانيات عربية تقف في مصاف اللسانيات الغربية، ومن هذه الموضوعات، مسألة "القرينة المقامية" ودورها في توجيه المعنى المراد من الجملة المنطوقة، وذلك عندما لا يتحقّق الوصول إليه بالاعتماد على القرائن اللغوية فقط. وقد عني النحاة القدامى بهذه المسألة عناية كبيرة لما لقرائن المقام من دور كبير في إنتاج المعنى، وعليها يعوّل كل من المتكلم والسامع في إيصال مقاصدهم أثناء إنتاج الخطاب، وهذا ما عالجه سيبويه في الكتاب وابن جنّي في

* المؤلف المرسل

الخصائص، ولم يغب عن الدراسات اللغوية المعاصرة، كدراسات النظرية الوظيفية في مبادئها التّواصلية، ونظريات السّياق، الأمر الذي أكّده عبد الرحمان الحاج صالح، واللغويون العرب المحدثون.

Abstract:

The ancient Arabic grammatical lesson is rich in aspects of linguistic thinking that make it a heritage from which we can draw the foundations and principles that root Arab linguistics that stand in the ranks of Western linguistics. Among these topics is the issue of the "contextual indicator" and its role in directing the intended meaning of the spoken sentence, when it is not achieved by relying on linguistic clues only. The ancient grammarians paid great attention to this issue because of the great role of the contextual evidence in the production of meaning, and on it both the speaker and the listener depend on conveying their intentions during the production of the discourse. This is what Sibawayh dealt with in the "alkitab" and Ibn Jinni in the "alkhasayis" and it was not absent from contemporary linguistic studies, such as studies of functional theory in its communicative principles, and context theories, and the same thing was confirmed by Abd al-Rahman al-Haj Salih, and modern Arab linguists.

Article info

Received: ***18/12/2022***

Accepted: *07/05/2023*

Keywords:

- ✓ *the contextual evidence*
- ✓ *grammatical heritage*
- ✓ *Modern linguistics*

مقدّمة

أدرك النّحاة القدامى في مرحلة التقعيد أهمية ربط القاعدة النحوية باستعمالها الفعلي أثناء الكلام، لذا فمفهوم النحو الذي كان سائدا عندهم، واشتغلوا عليه هو انتحاء سمت كلام العرب في جميع مظاهره وضعا واستعمالا. وهذا ما تفسّره النصوص التراثية التي عدنا إليها، فالشواهد التي ذكروها في مدوناتهم لتفسير القاعدة النحوية تبيّن أنّ النحاة كانوا على حرص في ربط القاعدة باستعمالها الحي بين المتخاطبين، وكثيرا ما يوجهون معانيها بالاعتماد على القرائن الحالية خاصة تلك الشواهد التي تم فيها الخروج عن القاعدة.

إنّ اهتمام النحاة بمعاني الكلام والجمل، كان قائما على قاعدة (ضرورة اتساق التركيب النحوي مع المعنى)[1]، واعتمدوا على قرينة الإعراب بالدرجة الأولى في تحقيق هذا الاتساق، إضافة إلى قرينة الدلالة الحالية أو المقامية.

فما مفهوم القرينة، وما هي أنواع القرائن؟ وكيف تجلت القرينة المقامية في التراث النحوي؟

1-تعريف القرينة:

1-1- لغة: لغة من الاقتران أو المقارنة، ومن معانيها: الربط، والمماثلة والمصاحبة والملازمة والاقتران.

1-1 اصطلاحا:

يعرّفها الشّريف الجرجانيّ(816هـ)،" **أمر يشير إلى المطلوب**"[2].

ويعرفها التّهاوني في كشّاف الاصطلاحات:« presumption, evidence, sin-preuve, présomption, indice بالفتح عند أهل العربية هي الأمر الدال على شيء لا بالوضع كذا في الفوائد الضيائية في بحث الفاعل، قال المولوي عصام الدين: إن أراد لا بالوضع له يلزم أن يكون اللفظ المستعمل في المعنى المجازي قرينة على المعنى المراد، ولم يُعهَد إطلاق القرينة

عليه...»[3].ويقصد بالأمر في كلا التعريفين، الدليل المعنوي واللفظي والحاليّ، وبالمطلوب القصد. وقد ذكر في لسان العرب أن الدليل ما يستدلّ به، وفي هذا علاقة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي.

وجعل أبو حامد الغزالي الدّليل موجبا لحصول البيان أي التعريف بالشيء، ومن ثم موصل بصحيح النظر فيه إلى العلم بما هو دليل عليه، أي ضرورة وجود الدليل لحصول البيان بعلم من العلوم، فالدليل محصِّل للعلم[4]. ومعنى هذا أنه الدال المعنوي أو اللفظي أو الحاليّ الموصل إلى المدلول أي المعنى المطلوب.

2- مصطلح القرينة عند النحاة:

القرينة كمصطلح عند النحاة الأوائل لم يستعمل بهذا الاصطلاح ، حيث استعمل سيبويه مصطلح" الدليل" ، وأعطى أمثلة توضيحية بقوله: **"فإذا قال: "ذهب" فهو دليل على أن الحدث فيما مضى من الزمان، وإذا قال: "سيذهب"، فإنه دليل على أنه يكون فيما يستقبل من الزمان...."**[5]، وتبعه المبرّد وابن السّراج، واستعمل ابن جنّي مصطلح **القرينة** قاصدا به " الدليل". ولم يعرف به لأنه كان معروفا في الدرس اللغوي خاصة عند الأصوليين والمفسرين والفقهاء، كما أنّه استقرّ عند النحاة المتأخرين وعند البلاغيين الأوائل والمتأخّرين.

والدليل أو القرينة في النحو هو عبارة عن دوال تعين على الاستدلال على حضور نمط تركيبي معين(نوع التركيب) بحسب مقاصد المتكلم و أحوال المخَاطَب، ومقام الكلام، وظروفه الخارجية، ولذا فهي تنقسم إلى قرائن مقالية(لغوية) ومقامية و أيضا عقلية(ذهنية يدركها السامع ليتعرف على مقاصد المتكلم)، ونجد القرينة المادية الحسية كتلك التي يستدلّ بها في معرفة آثار الجاني أو المجرم وغيرها من الاستعمالات التي تتمظهر فيها.

3- أنواع القرائن: اتفّقت كتب الاصطلاحات التراثية على أن القرينة إما مقالية أو حالية[6]، وبقي التقسيم كما هو في العصر الحديث، مع التجديد في تصنيفها وتفريعها ومحاولة التنظير لها ، كما هو الحال عند تمام حسّان[7]، وهو ما اعتمدته الكتب الحديثة في أغلبها.

1-3 تعريف القرينة المقالية (اللغوية): تنقسم إلى **معنوية**: وهي التي تستنبط من الكلام أو التركيب اللغوي لتدل على الوظائف النحوية والدلالية للألفاظ[8]، كقرينة الإسناد، المتمثلة في المسند والمسند إليه، وقرينة التخصيص التي تشمل المفاعيل، وقرينة النسبة التي تضم الاسم المجرور والمضاف إليه، وقرينة التبعية الخاصة بالتوابع،[9] **ومقالية أو لفظية**: وهي العلامة الإعرابية والرتبة والصيغة، والمطابقة، والربط....[10]

-2-القرائن المقاميّة(الحاليّة): فلها مسمَّيات: دلالة الحال، السياق، المقام، ظروف الخطاب...، وقد خص لها تمام حسان فصلا بأكمله، بعنوان(الدلالة)، متحدثا بإفاضة عن فكرة المقام وأهميتها في بناء الدلالة الاجتماعية للنصوص.

والقرينة المقامية هي التي تستنبط من خارج النص اللغوي ومتعلّقة بظروف وأحوال المتكلّم و المخاطَب، وهي "الحال المشاهدة " كما يسميها الجاحظ، وهي قرينة ضرورية في توجيهات النحويين لمعاني التراكيب،[11] حاضرة في كتب النحاة منذ أول مصنف وهو الكتاب لسيبويه. وهذا النوع من القرائن ذو أثر كبير في التحليل النحوي ، فقرينة الحال وبتظافرها مع القرائن الأخرى ترشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهي من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم.

وقد أكّد محمّد حماسة عبد اللطيف على أنّه لا يمكن أبدا نكران عناصر سياق النص اللغوي وعناصر الموقف أو المقام في تأثير دلالتهما على العناصر النّحويّة من حيث الحذف والذكر والتقديم والتأخير والفصل والوصل وهو ما يدرسه علم المعاني كأحوال المسند والمسند إليه ومتعلقاتهما....الخ[12].

4- مصطلح التوجيه في علم النحو والبلاغة: التوجيه لغة كما جاء في لسان العرب: «الوجه معروف... ووجه الكلام السبيل الذي تقصده به....»[13] وفي المعجم الوسيط: «التوجيه... في البلاغة إيراد الكلام محتملا لوجهين.. والوجه.... الصحّة، يقال: ليس لكلامه وجه، ومن الكلام السبيل الذي تقصده به».[14]

وبناء على ما سبق، فالتوجيه « هو جعل الشيء على جهة واحدة أي طريقة في الكلام واحدة، أو إيراد الكلام على وجهين فصاعدا».[15] ومصطلح التّوجيه لم يذكره النّحاة الأوائل، وإنّما ذكروا "الوجه" ، في دراساتهم التطبيقية لظاهرة الإعراب، كأن يكون للّفظ وجهان أو وجه واحد من الإعراب، وشواهد النحاة الأوائل والمتأخرين كثيرة في الشأن[16].

5- القرينة المقامية بين اللسانيات الحديثة و النحاة الأوائل:

5-1 الدراسات اللسانية الغربية الحديثة: للقرائن المقاميّة أهميّة بالغة تتمثّل في التوسّع في التّحليل النّحوي إلى تحليل خارج النظر اللغوي يعتمد فيه على عناصر إضافية، ومتغيّرات تلابس المادة اللغوية الخالصة، وقد اتّجهت الدراسات اللسانية الحديثة إلى اعتماد هذا النوع من التحليل في المادة اللغوية المدروسة ، وجعلته مبدأ من مبادئ نظرياتها، وهذا لا ينفي عن التفكير اللغوي العربي التراثي أسبقيته في اعتماد هذا التحليل ابتداء من القرون الأولى التي أسست لعلم النحو، بل إن النظر في الاستعمال الحي للغة العربية كان منهجا أساسيا في التقعيد لها ومنطلقا انطلقت منه دراسات العلماء.

ومن الدراسات اللسانية الحديثة التي وسّعت دائرة التحليل للتركيب اللغوي إلى ما هو خارج اللغة أي السياق و المقام الذي أنتج فيه الكلام، نجد الدراسات الوظيفية، والتداولية، وتحليل الخطاب، ولسانيات الخطاب، واللسانيات الاجتماعية، وفيما يلي سنحال أن ننظر في أهم المقاربات اللسانية التي جعلت المقام أساسا في تحليلها للتركيب اللغوي والاعتماد على عناصره المكونة له في الوقوف على دلالات ومعاني الخطابات المنجزة.

أولا: المدرسة الوظيفية: ألحّت هذه المدرسة على دراسة وظائف اللغة ودور اللغة في المجتمع ووظيفتها في الأدب، منذ تأسيس مدرسة براغ على يد ماتسيوس و تروبتسكواي وجاكبسون وكا رسيفيسكي، وهو ما نصّت عليه الأطروحات المقدّمة في المؤتمر الدولي المؤسس للمدرسة، خاصة الأطروحة الثالثة[17]، كما قرّر هاليداي أيضا، أن اللغة وسيلة اتّصال وتعبّر عن السلوك الاجتماعي بالأساليب المتنوعة.[18]

ثانيا: فكرة اجتماعية اللغة التي يطرحها علم اللغة الاجتماعي وهي دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، وهو منهج علمي يطمح إلى تبيان كيف تتفاعل اللغة مع محيطها.

ثالثا: سياق الحال أو السياق غير اللغوي أو سياق الموقف: و هذه الفكرة حاضرة في المدرسة الإنجليزية التي يتزعمها فيرث، وتعود إلى العالم ما لينوفسكي، وأكد على أن دراسة اللغة لاتتم بمعزل عن سياقها الحالي والموقفي وضرورة دراسة الكلام في المحيط الذي قيل فيه، وما يتضمّن من عناصر مادية وحركية.

وعليه، ففيرث يتبع خطى المدرسة الوظيفية (براغ)، ويؤكد على الوظيفة الاجتماعية للغة في دراسة المعنى، ويندرج ضمن ذلك كل ما يتعلق بالمتكلم والمستمع من حيث شخصيتهما وتكوينهما الثقافي الاجتماعي، وشواهد حاضرة في الخطاب، والعوامل والظواهر الاجتماعية والمناخية ذات العلاقة بالسلوك اللغوي آنذاك، وما ينتج عن كل ذلك من أثر في كلام المشتركين كالضحك، أو الألم، أو الإغراء، وأيضا أخذ عين الاعتبار بيئة الكلام المدروس، فاللهجات تختلف، والبيئات الاجتماعية والثقافية تختلف أيضا.[19]

2-5- مقاربة عبد الرحمان الحاج صالح:

وقد بيّن عبد الرحمان الحاج صالح في كتابه: **"الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية"** أن النحاة العرب الأوائل كانوا مدركين لضرورة منهجية، وهي التمييز بين اللغة وبين كيفية استعمالها في التخاطب[20]، وهذا الذي قامت عليه نظريتهم اللغوية، كما ميّز عبد الرحمان الحاج صالح بين مصطلحي الخطاب والتخاطب وبيّن أن قرينة دلالة الحال وغيرها من الدّلالات غير اللفظية من أهم مكونات التخاطب العربي عند النحاة الأوائل وعلى رأسهم سيبويه، وأنه لا يمكن أن يفهم الكلام كلفظ وكوضع بمعزل عن دلائل أخرى، خاصة إذا ما اعتراه الاتساع المفضي إلى لبس، والمؤدي بالسامع إلى عدم إدراك ما يقوله صاحبه؛ وقد استطرد كثيرا في ذكر الشواهد السيبويهية التي بيّن من خلالها سيبويه أهمية قرينة الحال، خاصة في مواضع الحذف[21]، وقد قسّم عبد الرحمان الحاج صالح الدلالات الخارجة عن وضع اللغة وعن حدود الجملة، وهي التي تمكن من تحديد

المعنى المراد من الكلام المتوسَّع فيه بالحذف وغيره، منطلقا في ذلك ممّا قدّمه سيبويه، إلى ثلاثة أنواع:[22]

1- ما يرى المخاطب من الحال(مشاهدة الحال بعده).
2- ماجرى من الذكر أو ما كان قبل ذلك من الكلام.
3- علم المخاطب السابق.

وهي نفسها الأنواع التي سنجدها عند ابن جني فيما سيأتي.

3-5- عند النحاة الأوائل:

أ- المقام عند سيبويه:

تحليل مادة اللغة عند سيبويه وغيره، سواء أكانت خطابا عاديا أم خطابا قرآنيا أم شعريا قائمة بالنظر إلى ظروف المقام وعناصره، وهذا ما يجده الملاحظ لكل أبواب الكتاب النحوية، مهما تعدّدت المصطلحات الدالة على ذلك. وهذا دليل على أن النحاة الأوائل شافهوا القبائل العربية وانطلقوا في التقعيد انطلاقا من المستعمل الحيّ المسموع عن العرب الأقحاح في مواقفهم الخطابية المتنوعة.

وأشار إلى هذه الفكرة وأكدها الأستاذ كارتر بقوله: ويتعامل سيبويه مع اللغة على أنها شكل من السلوك الاجتماعي، فيتبنى المقاييس الاجتماعية السائدة في عصره في تقويم مستوى الصواب في اللغة على جميع مستويات التحليل اللغويّ[23].

وفي هذا يقول: "نهاد الموسى«: وكنت نظرت في سياق بحث مختلف في كتاب سيبويه ألتمس لديه هذا العنصر من عناصر التحليل، فوجدته منذ ذلك العهد المبكر يفزع إلى السياق، والملابسات الخارجية، وعناصر المقام، ليردّ ما يعرض في بناء المادة اللغوية من ظواهر مختلفة إلى أصول النظام النحوي طلبا للاطّراد المحكم، وهو يوافق فيما صدر عنه ملاحظات كثيرة مما تنبني عليه الوظيفيّة ومناهج التوسيع أو اللغويات الخارجية بعبارة دي سوسير»[24]. فسيبويه لا يكتفي بدراسة الأنماط اللغوية دراسة لغوية خاصة كتفسير

المقدرات في الحذف وغيره وفق نظرية العامل بل يتّسع في التحليل إلى وصف المواقف الاجتماعية التي تستعمل فيها.

ويؤكد محمد حماسة عبد اللطيف على التقاء منهج سيبويه مع الاتجاهات الحديثة رغم تباعد الزمن، في عنايته بوصف الموقف الذي يجري فيه الكلام واستعماله، أي الاعتماد على المقام وعناصره في تحليل التركيب وتفسير معناه، خاصة في مواطن الحذف الذي يستند في سلامة تركيبه إلى فهم المخاطَب لما يحذف من عناصر[25]، ومن ثم فهم المعنى بالاستناد إلى عناصر السياق اللغوي والمقامي لأنهما في بيئة مشتركة.

وقد وجّه سيبويه نقدا لمعاصريه في إهمالهم النظر إلى عناصر المقام في قوله:« فإن النحويين ممّا يتهاونون **بالخُلْف** إذا عرفوا الإعراب»[26]. ويقصد هنا أن هناك من النحويين ممن عاصرهم يكتفون بالاستناد إلى الإعراب دون غيره لتقويم مستوى الصواب عند الناطقين بالعربية، وهذا في نظره منهج خطأ، لذا فالاهتمام بما أسماه "الخُلف" وهو سياق الحال ضرورة منهجية في توجيه مواطن الصواب والخطأ أثناء أداء الكلام ، وهو مما يعين على الوصول إلى مقاصد المتكلمين ومعرفة أغراضهم، وهذه هي الغاية الوظيفية للغة.

وقد أكّد الباحث **المتولي محمود المتولي عوض حجاز** أن مصطلح الخُلف في كتاب سيبويه يقصد به سياق الحال[27] مستدلا بقول سيبويه: «وتقول :إني عبد الله؛ مصغِّراً نفسه لربه، ثم تفسر حال العبيد فتقول :آكِلاً كما تأكل العبيد.وإذا ذكرت شيئا من هذه الأسماء التي هي علامة للمضمَر فإنه مُحال أن يظهر بعدها الاسم إذا كنت تُخبر عن عمل، أو صفة غير عمل، ولا تريد أن تعرفه بأنه زيدٌ أو عمرو. وكذلك إذا لم توعد ولم تفخر أو تصغر نفسك؛ لأنك في هذه الأحوال تعرف ما تُرى أنه قد جُهل، او تُنزل المخاطَب منزلة من يجهل فخرا أو تهدُّداً او وعيدا، فصار هذا كتعريفك إياه باسمه. وإنما ذكر الخليل رحمه الله هذا لنعرف ما يُحال منه وما يَحسن، فإن النحويين مما يتهاونون بالخلفْ إذا عرفوا الإعراب»[28]

والنصوص كثيرة التي تدل على اهتمام سيبويه بسياق الحال، ومن ذلك قولك ، إذا رأيت رجلاً متوجّهاً وجهة الحاج ـ قاصداً في هيئة الحاج فقلت :مكّة وربّ الكعبة . حيث ظننت

أنه يريد مكّة كأنّك قلت : يريد مكّة والله. ويجوز أن تقول : مكّة والله ، على قولك : أراد مكّة والله ، كأنّك أخبرت بهذه الصفة عنه أنه كان فيها أمس ، فقلت :مكة والله، أي أراد مكة إذ ذاك.

وقوله: « ويكون المبنى عليه مظهَراً وذلك أنك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت :عبد الله وربي، كأنك قلت :ذاك عبد الله، أو هذا عبد الله .أو سمعتَ صوتا فعرفتَ صاحبَ الصوت فصار آية لك على معرفته فقلت :زيد وربى .أو مسِسْتَ جسدا أو شممت ريحا فقلت :زيد، أو المِسك .أو ذقتَ طعاما فقلت :العسل. ولو حُدِّثتَ عن شمائل رجلٍ فصار آية لك على معرفته لقلت :عبد الله .كأن رجلا قال :مررتُ برجل راحم للمساكين بارٍّ بوالديه، فقلت :فلان واللهِ.»[29]

ب- ابن السراج:

لقد كان نظر النّحاة في تمام الجملة أوّلا منصبّا حول ما يضمر أو يظهر من الأفعال والأسماء ، فذكر ابن السراج أن للفعل ثلاثة أضرب ، ظاهر لا يحسن إضماره، ومضمر مستعمل إظهاره، ومضمر متروك إظهاره. وقد ذكر في أن الذي لا يحسن إضماره هو الذي ليس عليه دليل من لفظ أو حال مشاهدة كقولك : زيدا، وانت تريد : كلم زيدا ، فأضمرت ولم يتقدم ما يدل على كلم، والمضمر المستعمل إظهاره كان يكون الرجل في حال ضرب ، فتقول : زيدا ورأسه، أي اضرب زيدا و اضرب رأسه، أما المتروك إظهاره كقولك: الأسد الأسد"، و الملاحظ أن هذه الأضرب الثلاثة تحكمها الحال المشاهدة.

ج- ابن جني:

عرّف ابن جنّي الإعراب بأنه " الإبانة بالألفاظ عن المعاني" ، وفي موضع آخر يقول، أن الألفاظ أدلة المعاني"، و هذا على المستوى اللّغوي الخالص، أي الغاية هو الكشف عن المعاني باعتماد القرينة المقالية عندما يتطلّب الأمر الاستناد إليها فقط، إلاّ أنّ ابن جنّي في مواضع أخرى يبيّن أهمية الرجوع إلى عناصر المقام وقرائنه للكشف عن المعنى وتوجيهه

الوجه الذي يقتضيه المقام في أبواب عديدة ، كبابي " قد تطيل العرب للتّوكيد، وهم للإيجاز أميل"[30]، و " باب اختلاف العرب في لغاتها" الذي بين فيه ضرورة الوقوف على الحال المشاهدة وتصوّر مواقفهم فيما نقل عنهم من كلام، وذلك في قوله: « حكاية المتكلّم الحال والملابسات" الذي صرح فيه قائلا: " وليست كل حكاية تروى لنا، ولا كل خبر ينقل إلينا يشفع به شرح الأحوال التابعة له، المقترنة كانت به، نعم ولو نُقلت إلينا لم نفد بسماعها ما كنا نفيده لو حضرناها»[31]. و"باب في أن المحذوف إذا دلت الدلالة عليه كان في حكم الملفوظ به، إلا أن يعترض هناك من صناعة اللفظ ما يمنع منه"، وكل الشواهد التي سنذكرها مأخوذة منه[32]. وهو باب غنيّ بالشواهد النحوية التي استدل بها ابن جنّي، وبيّن ما للقرينة المقامية من أهمية في توجيه الإعراب الوجهة الصحيحة من جهة وأيضا الكشف عن المعنى المراد، وفي مقدمة هذا الباب يقول: " من ذلك أنك ترى رجلا قد سدّد سهما نحو الغرض ثم أرسله، فتسمع صوتا فتقول: القرطاس والله، أي أصاب القرطاس، فأصاب في حكم الملفوظ به البتّة، وإن لم يوجد في اللفظ غير أن دلالة الحال دلّت عليه".

وقوله أيضا: "وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه' فتقول: كان والله رجلا؟ فتزيد في قوة اللفظ بـ (والله) هذه الكلمة ولتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها ، وعليها، أي رجلا فاضلا أو شجاعا او كريما..

وفي المثال المنقول عن سيبويه في حذف الصفة ودلالة الحال على المحذوف يشرح ابن جني ذلك قائلا: « وقد حذفت الصفة ، ودلّت الحال عليها ، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: " سير عليه ليل " ، وهم يريدون : " سير عليه ليل طويل ". وكأنّ هذا إنمّا حذفت فيه الصفة لما دلّ من الحال على موضعها ، وذلك أنّك تحس ـ في كلام القائل لذلك من التطويح ، والتطريح ، والتفخيم ، والتعظيم ما يقوم مقام قو له : " ليل طويل " ، أو نحو ذلك وأنت تحس ـ هذا من نفسك إذا تأملته».

ومن خلال هذا القول يتبيّن لنا اهتمام ابن جنّي بحال أحد عناصر السياق وهو حال المتكلم أثناء الكلام، وما للإشارات الجسمية من دور في إبراز المعاني . كتطويل الكلام او

تقطيب الوجه، أو تهليله وبشره و غيرها، فكلها إشارات جسمية أي قرائن غير لغوية تكشف عن معاني نفسية كثيرة كالغضب والسخرية والمدح والتعظيم والاستغاثة.....

ومما سبق يتبين لنا ان ابن جني نهج سيبويه باعتماد الأنواع الثلاثة للقرائن الخارجة عن حدود اللغة إلى الكلام الفعلي أو التخاطب وذلك في قوله: قد يصلون إلى إبانة أغراضهم بما يصحبونه الكلام مما تقدم قبله ويتأخر بعده، ومما تدل عليه الحال.

وفي نهاية هذه المقالة، نخرج بنتيجة وهي أن ما تناوله القدماء عن قضية القرينة المقامية وأهميتها في الكشف عن المعاني وفهمها وتوجيهها التوجيه السليم، يقترب كثيرا مما تناولته اللسانيات الحديثة. وموضوع القرينة عند القدماء أوسع بكثير مما تناولناه في هذه الدراسة، على اعتبار أن القرينة أو الدليل موضوع تتقاسمه العلوم اللغوية والأصولية والفقهية والتفسيرية.

الهوامش:

[1] نشأت علي محمود عبد الرحمان: التوجيه النحوي وأثره في دلالة الحديث النبوي الشريف(دراسة في الصّحيحين)، المكتبة العصرية، بيروت، ط1/ 2011، ص29.

[2] الشريف الجرجاني: التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دت، ص: 146.

[3] التهاوني: كشاف الاصطلاحات، دت، دب، نسخة الكترونية، ج1315/2.

[4] ينظر أبي حامد الغزالي: المستصفى، ج3، تح: حمزة بن زهير حافظ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ص61(نسخة الكترونية).

[5] الكتاب لسيبويه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2009، م69/1.

[6] ينظر التعريفات للجرجاني، ص: 146، و كشاف الاصطلاحات، ج1315/2.

[7] ينظر تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1994، ص178و ما بعدها.

[8] لطيف حاتم الزاملي: القرائن وأثرها في التوجيه النّحوي عند سيبويه، دار الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2014، ص: 19.

[9] ينظر تمام حسان، مرجع سابق، ص: 190و ما بعدها.

[10] ينظر المرجع نفسه، ص:205و ما بعدها.

[11] ينظر نادية رمضان النجار: القرائن بين اللغويين والأصوليين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/2015، وقد وسّعت شرحا هذه القرينة عند النحاة.

[12] محمد حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة، دار الشروق، ط1، 2000، القاهرة، ص113.

[13]لسان العرب

[14] ينظر مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، مادة وجه، ص:1115.

[15]نشأت علي محمود عبد الرحمان، مرجع سابق، ص: 26.

[16] نفسه.

[17] ينظر ماري آن بافو، جورج إليا سرفاتي: النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ط1، 2012، ص197 وما بعدها.

[18] ينظر المرجع نفسه، ص227 وينظر أيضا لطيف حاتم الزاملي: مرجع سابق، ص 192.

[19] ينظر عزة شبل محمّد: علم لغة النّصّ النظري والتطبيق، مكتبة الآداب مصر، ط2، 2009، ص2.

[20] عبد الرحمان الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، سلسلة علوم اللسان عند العرب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2012، ص8.

[21] المرجع نفسه، ص 54وما بعدها.

[22] المرجع نفسه، ص55.

[23] ما يكل جي كارتر: نحوي عربي من القرن الثامن للميلاد (مقال مترجم)، نقلا عن لطيف حاتم الزاملي، مرجع سابق، ص194.

[24] نهاد الموسى: نظرية النحو العربي، نقلا عن لطيف حاتم الزامليّ، مرجع سابق، ص194.

[25] ينظر محمد حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة، ص115.

[26] سيبويه: الكتاب، تع: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2،2009، 77/2.

[27] المتولي محمود المتولي عوض حجاز: مصطلح الخُلْف في كتاب سيبويه، مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 34، الرسالة 405، 2014/1435، ص19وما بعدها.

[28] الكتاب، 77/2.

[29] الكتاب، 129/2.

[30] ابن جني: الخصائص، تح: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، دب، دت، دط، 86/1.

[31] الخصائص1/216-217

[32] المصدر نفسه، 247/1.